

## إسهامات بيت ابني الإمام في الحركة العلمية بالمغرب الإسلامي في العصر الوسيط من خلال كتب التراجم

### The Contributions of the House of the Imam's Sons to the Scientific Movement in the Islamic Maghreb in the Middle Ages through Biographies

نعيمة بوكريديمي\*<sup>1</sup>

<sup>1</sup> جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف (الجزائر)، boukridiminaima@gmail.com

تاريخ القبول: 2022/05/31

تاريخ الإرسال: 2022/01/26

#### ملخص:

من أهم المظاهر التي شهدتها الحاضرة العلمية تلمسان خلال الفترة الزيانية ظاهرة البيوتات العلمية، التي أنجبت مجموعة كبيرة من العلماء الأفاضل والأجلاء، الذين استطاعوا من خلال ما تمتعوا به من رصيد علمي كبير وثقافة واسعة من الإسهام في الحركة العلمية وتنشيطها بتلمسان خلال هذه الفترة المعنية بالدراسة، ومن هذه البيوتات العلمية التلمسانية بيت ابني الإمام الذي ارتأيت أن أتطرق له في هذه الدراسة التي جاءت موسومة بـ إسهامات بيت ابني الإمام في الحركة العلمية بالمغرب الإسلامي في العصر الوسيط من خلال كتب التراجم. فما هو هذا البيت؟ ومن هم علماؤه؟ وأين تجلت أهم إسهاماته في الحركة العلمية بالمغرب الإسلامي خلال العهد الزياني من خلال كتب التراجم؟

**كلمات مفتاحية:** بيوتات علمية؛ ابني الإمام؛ تلمسان الزيانية؛ مغرب إسلامي؛ كتب التراجم.

#### **Abstract**

During the Ziani Era, Tlemcen had witnessed one of the most important manifestations that was the phenomenon of Scientific Houses. In fact, these houses had produced a large group of great scientists who were able through their considerable scientific background, knowledge and a wide culture to contribute and revitalize the scientific movement in Tlemcen during this period of study. Among these scientific houses, the present paper aims at highlighting the House of Imam's sons, though which it attempts to answer the following questions: What is this house? Who are its scientists? And how did they contribute to the scientific movement in the Islamic Maghreb during the Zayani Era.

**Keywords:** scientific houses, Imam's sons, Tlemcen Ziani, Islamic Maghreb; biographies.

## 1- مقدمة

إن تاريخ المغرب الأوسط الذي يشهد للدولة الحمادية والمرابطية والموحدية بإرث حضاري وفكري وافر ليشهد هو الآخر للدولة الزيانية التي جاءت من بعدهم ببصمة حضارية بارزة، جسدها تلك البيوتات أو الأسر العلمية التي تميزت بها، والتي ساهمت في إثراء الحياة الفكرية بتلمسان من خلال ما أنجبته من العلماء الأجلاء الذين ساهموا بتدريسها وتأليفها في جعل هذه المدينة حاضرة علمية ليس على مستوى المغرب الأوسط فحسب، بل على مستوى العالم الإسلامي، حيث قصدها العلماء وطلبة العلم من كافة الأصقاع للنهل من فيوضات علمائها وعطاءاتهم في كافة الميادين المعرفية، ومن هذه البيوتات العلمية نذكر بيت ابن الإمام المعني بهذه الدراسة.

## 2- التعريف ببيت أولاد الإمام:

يعد هذا البيت من البيوتات التي اشتهر علمائها بغزارة العلم والتحصيل، وعمق التفكير في الجانب الفقهي على وجه الخصوص، ولع اسمهم في سماء الحضارة الإسلامية مشرقا ومغربا وقد عرف هذا البيت بأولاد الإمام (ابن فرحون، 1972، صفحة 499)، كما عرف بأبناء الإمام (التنبيكتي، 2004، صفحة 178) وابتى الإمام (ابن مريم، 1986، صفحة 123).

إن بيت أولاد الإمام كان في زمانه بيت علم وصلاح، ولا زال كذلك لحد اليوم، فهو من البيوتات الراسخة في العلم والشامخة فيه، نشأ أهله على حب العلم، فحصله على كبار العلماء والشيوخ (محجوب عرايبي، 2014/2015، صفحة 52).

وحسب ما تطلعنا به كتب التراجم، فقد أنجب هذا البيت كبار فحول العلماء والشيوخ الذين زينوا سماء تلمسان بإسهاماتهم الحضارية مشرقا ومغربا وهم كالتالي:

- إمام المدرسين أبو زيد عبد الرحمن بن الإمام (ت1342/743م) (ابن خلدون، 2004، صفحة 47) سنأتي بترجمته فيما بعد.

- إمام المدرس أبو عيسى بن الإمام (ت1348/749م) (ابن خلدون، 2004، صفحة 47)، سنأتي بترجمته فيما بعد.

• العالم إبراهيم بن عبد الرحمن بن الإمام، هو أبو سالم إبراهيم بن عبد الرحمن بن الإمام الفقيه الحافظ بن العلامة أبي زيد، ورد ذكره عند ابن مريم بصورة مقتضبة، عرف بعلم جمة، له فتاوى نقلها عنه كل من المازوني في نوازله، والونشريسي في معياره، عاش بتلمسان (بن داود، بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م، 2010/2009، صفحة 134).

ارتحل إلى فاس وبقي بها إلى أن وافاه أجله سنة (1394/797) ودفن باب الجيزين\* (بن داود، بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م،، 2010/2009، صفحة 134) بفاس (ابن خلدون، 2004، صفحة 48).

العالم محمد بن الإمام، وهو محمد بن يحيى أو إبراهيم بن عبد الرحمن التلمساني الشهير بابن الإمام وهو بكنيته أشهر (القرافي، 2001، صفحة 168)، إمام عالم علامة، اعتبر أحد أقران ابن مرزوق الحفيد (بن داود، الحياة الفكرية والتعليمية لتلمسان من خلال علماء بني مرزوق من ق(7هـ-13م/10هـ-16م)، 2011، صفحة 168) قال فيه الحافظ التنسي: "شيخنا صدر البلغاء، وتاج العارفين وأعجوبة الزمان، نشأ بتلمسان وأخذ عن علمائها، ثم رحل إلى تونس، ومنها نحو القاهرة ومنها إلى البقاع المقدسة ودمشق ليعود بعد هذه المرحلة إلى بلده، ويشغل بالتدريس، خاصة وأنه كان عالماً بالمعقول (بن داود، الحياة الفكرية والتعليمية لتلمسان من خلال علماء بني مرزوق من ق(7هـ-13م/10هـ-16م)، 2011، الصفحات 101-102) فعلم الناس فضيلته وأجلوه، وقال عنه المقريزي أنه كان صاحب فنون عقلية ونقلية (القرافي، 2001، صفحة 168).

كان أبوهما إماماً برشك\* (الوزان، 1983، صفحة 68) وفي هذا الصدد ذكر بن خلدون في التاريخ الكبير بشأنهما ما يلي: "ابنا الإمام كان الأخوين من أهل برشك من عمالة تلمسان، أكبرهما أبو زيد وأبوهما إمام برشك" (التنبيكي، نيل الابتهاج بتطريح الديباج، 2011، صفحة 274)، ولذلك اشتهر هذا البيت بهذه الخطة أو الإمامة الصغرى، والتي قال عنها ابن خلدون أنها أرفع الخطط الدينية كلها (ابن خلدون، المقدمة، 1984، صفحة 274).

لم تشر المصادر التاريخية ومنها كتب التراجم لنسب هذا البيت، وإنما ذكرت من ذلك التنسي البرشكي التلمساني، فالتنسي نسبة إلى مدينة تنس بحكم أنها كانت مدينة كبيرة، والبرشكي نسبة إلى مدينة برشك الصغيرة، وهي من المدن القريبة من تنس، وهي من مدن الإقليم الشرقي الخاضع للدولة الزيانية، فجاءت النسبة التنسي البرشكي التلمساني (ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، 1979، الصفحات 223-228).

\* باب الجيزين ويعرف باب الجيسة، وهي إحدى أبواب مدينة فاس في الجهة المقابلة للوادي، ويعرف هذا الباب اليوم باب الحمراء.

\* برشك هي مدينة قديمة وصغيرة بناها الرومان على تل، وهي على ضفة البحر، وعليها سور تراب، تبعد عن مدينة شرشال غرباً بعشرين ميلاً (35 كلم)، وتبعد عن تنس شرقاً ستة وستون ميلاً (105 كلم) كانت بها مزارع ذات خيرات كثيرة خاصة التين والشعير والكتان، وأهلها يشتغلون (14) بحياكة الأقمشة، كانت تصدر منتوجاتها نحو الجزائر فيجاية وتونس.

### 3-التعريف بالأخوين (أولاد إمام) من خلال كتب التراجم:

#### أ-التعريف بعبد الرحمن بن الإمام:

تتفق معظم كتب التراجم على أنه هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن الإمام المكنى أبو زيد الأخ الأكبر، بالنسبة لتاريخ ميلاده مجهول، لم تشير له المصادر التي اهتمت بترجمته لكن باعتبار أن تاريخ الرحلة نحو تونس كان بعد سنة(1284/683)، وفي الغالب يكون سن الرحلة في حدود العشرين سنة، فالأرجح إن تاريخ ميلاده يكون مع العقد الثاني من النصف الثاني من القرن السابع الهجري /13م (بن داود، بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م،، 2010/2009، صفحة 129).

ذكرهما ابن فرحون في الديباج قائلا: أبو زيد، شيخ المالكية بتلمسان، الإمام العلامة الأوحدهو أكبر الأخوين المشهورين بأولاد الإمام التنسي البرشكي التلمساني (ابن فرحون، 1972، صفحة 45) توفي سنة (743هـ/1342م) (بن داود، بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م،، 2010/2009، صفحة 45).

#### ب- التعريف بعيسى بن الإمام:

هو أبو موسى بن محمد بن عبد الله بن الإمام، لم تذكر لنا المصادر التي اهتمت بترجمته بتاريخ ميلاده وإنما اكتفت وأشارت إلى أن عيسى يكون الأخ الأصغر من عبد الرحمن، تشارك مع أخيه الرحلات العلمية مغربا ومشرقا واشتغلا معا أيضا، عرف بالإمامة والاجتهاد المطلق كأخيه (محجوب عرايبي، 2014/2015، صفحة 45).

#### 1- نشأتهما وتكوينهما العلمي:

نشأ ابنا الإمام بمدينة برشك، حيث حفظ القرآن، وأخذ المبادئ الأولية للتعليم عن أبيهما باعتبارهما إماما ومدرسا للمدينة (بن داود، بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م،، 2010/2009، صفحة 127).

وحسب ما تفيدنا به كتب التراجم، فهما ينحدران من أسرة كانت تعرف بالعلم والصلاح والإمامة، فقد روى لنا يحيى ابن خلدون نقلا عن تقاة أن جد العالمين عبد الرحمن أبو زيد وأبا موسى عيسى كان من أولياء الله الأبرار كانت له قطعة أرض يفرسها خضرا لمعاشه، فعمد إليها في إحدى الليالي لصان لحفر اللفت فأوثقتهما أرضها وأصبحت عبءة للسراق، ومهما يكن من صحة هذه الرواية فالمعروف شرعا أن الصالحين قد تكون لهم كرامات حدثت فعلا أم هي من نسج التصور الصوفي الذي كثيرا ما تتحدث عنه كتب التراجم، فالبيدي والمعروف عن هذا البيت أنه بيت صلاح وتقوى وعلم (الزركشي، 1966، صفحة 86).

بعد مقتل والد الإمامين أبا زيد عبد الرحمن وأبا موسى عيسى، رحلا إلى الحاضرة تونس طلبا في التحصيل والاستزادة العلمية على كبار علمائها الأفذاذ، حيث تتلمذ خلال مرحلة حصيهم

على نخبة من علماء عصرهم الذين برزوا في حقول معرفية متنوعة كعلم الفقه وأصوله والحديث واللغة العربية وغيرها من المعارف، وكان لهم فضل كبير في تنمية مواهبهم وتكوينهم العلمي والمعرفي ومن بين الشيوخ الذين تتلمذ عليهما ابن الإمام نذكر:

- ابن جماعة: هو أبو يحيى أبو بكر بن القاسم بن جماعة الهواري الفقيه العالم، أخذ عن أئمة المشرق والمغرب ومنهم ابن دقيق وعنه أخذ ابن السلام وابن الإمام وغيرهم، له تأليف في البيوع توفي سنة (1312/712) (ابن مريم، 1986، صفحة 145).

- البطريني: هو أبو العباس أحمد بن موسى الأنصاري الشهير بالبطريني التونسي، شيخ تونس وعمدة أهل التحقيق الفقيه الراسخ والقارئ المسند مولده كان عام (1270/668) وتوفي عام (1310/710) (ابن مريم، 1986، صفحة 82).

- السطي: سدي أحمد بن خاتم السطي، نزيل القاهرة، أخذ بتلمسان عن جماعة منهم محمد بن أحمد بن قاسم العقباني ومنهم بن الجلاب، وحضر بتونس عند إبراهيم الخضرمي، وقرأ بطرابلس الغرب على إبراهيم الباجي مولده في جمادى الثانية 851هـ (ابن القاضي، 2009، صفحة 404).

- الطنجي: هو أبو الحسن علي بن عبد الرحمن اليفرنى الشهير بالطنجي الفقيه الحافظ عالم الفرائض والحساب له تقييد على المدونة، توفي سنة (1333/734) (التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريح الديباج، 2011، صفحة 236) بالإضافة إلى ابن العطار والمرجاني (التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريح الديباج، 2011، صفحة 236).

وبعد عودتهما إلى الجزائر، وإقامتهم بمدينة مليانة، ثم دخولهم لمدينة تلمسان مع محمد بن منديل الذي أثنى عليهم لدى السلطان الزياني أبو حمو موسى الأول (1307/706) رحلا في عهد السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن الأول إلى المشرق، ولقي عدد كبير من علمائه الذين احتكوا بهم، واخذوا من علومهم من أمثال القزويني وعلاء الدين القونوي والحجار (التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريح الديباج، 2011، صفحة 236)، وفي هذا الصدد قال تلميذهما الإمام المقرئ: "كان رحلا في شبابهما من بلدهما تلمسان إلى تونس فأخذ بها عن ابن جماعة وابن العطار والبطرني، وتلك الطبقة وأدركا المرجاني من أعجاز المائة السابعة، ثم ورد في أول المائة الثامنة بتلمسان على أمير المؤمنين وهو محاضر لها وفقهه حضرته يومئذ أبو الحسن على بن يخلف التنسي ورحل الفقيهان إلى المشرق في حدود العشرين وسبعمائة، فلحقا علاء الدين القونوي، وكان بحيث لا نظير له، ولحقا أيضا الجلال القزويني صاحب التلخيص وسمعا البخاري على الحجار" (محجوب عرايبي، 2014/2015، صفحة 45).

وهكذا انتفع الإخوان ابني الإمام من هذه الرحلات العلمية التي قام بها اتجاه تونس وبلاد المشرق الإسلامي في تكوينهما ونبوغهما العلمي، حيث أخذ بمنهج الشيخ محمد بن سليمان السطي

إسهامات بيت ابني الإمام في الحركة العلمية بالمغرب الإسلامي في العصر الوسيط من خلال كتب  
التراجم

والشيخ علي بن عبد الرحمن اليفراني المشهور بالطنجي المختص في الفرائض والحساب (الحفناوي،  
2007، الصفحات 24-25).

2-مكانتهما العلمية وثناء العلماء فيهما:

نظرا لما تميز به الأخوين ابني الإمام من غزارة وتنوع في العلم والمعارف بسبب ذلك التكوين  
الذي حضوه سواء داخل تلمسان أو خارجها في باقي حواضر المغرب والمشرق الإسلامي، فقد أثنى  
عليهم العلماء ونوهوا بعلمهم وفضلهم وشهدوا لهم بالدرجة الرفيعة العديد من معاصريهم سواء  
كانوا مشايخا أو تلامذة، فقد خصهما بالذكر ابن فرحون في ديباجه قائلا: "أبو زيد شيخ المالكية  
بتلمسان العلامة الأوحده أكبر الأخوين المشهورين بأولاد الإمام التنسي البرشكي (التنبكتي، نيل  
الابتهاج بتطريح الديباج، 2011، صفحة 16)، أما عيسى بن الإمام فقد روى عنه قال عنه: "جامع  
أشتات المعارف" (الحفناوي، 2007، صفحة 25)، وقال عنهما العباس الونشريسي ما يلي: "وأما  
بنوا الإمام فلا علاهم طبقة الشيخان الراسخان لعلمان المفتيان الشقيقان الفقيمان العلامتان آخر  
صدور أعلام المغرب بشهادة أهل الإنصاف شرقا وغربا أبو زيد والعلامة النظار آخر النظر وجامع  
أشتات المعارف أبو موسى ابن الإمام (بن داود، بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى  
القرن 10هـ/16م،، 2010/2009، صفحة 160).

ونظرا لهذا الرصيد العلمي الكبير الذي تمتع به أثنى عليهما محمد بن منديل الكناني، عند  
الأمير الزياتي أبو حمو موسى الأول، فاستقبلهما وسر بلقاءهما وقربتهما إليه، واتخذهما ضمن رجال  
خاصته، وبنى لكل واحد منهما منزلا وأسس لهما مدرسة، وهي المدرسة الأولى التي تشيد بالمغرب  
الأوسط، في بداية عهده، وقد عرفت باسمها مدرسة أولاد الإمام، وكان ذلك في سنة (1310/710)،  
وبها انتصب للتدريس (حاجيات، 1975، صفحة 138)، (بن داود، بيوتات العلماء بتلمسان من  
القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م،، 2010/2009، صفحة 160) وقد كانت تدرس بها العلوم  
الدينية والنحو والأدب والعلوم الاجتماعية والعقلية بنوع من التعمق والتفصيل بطرق ومناهج  
جديدة، اختص بها ابني الإمام دون غيرهم (الحفناوي، 2007، الصفحات 24-25).

وقد تخرج بهما كثير من العلماء الأجلاء، وهما من ناظر شيخ الإسلام ابني تيمية وظهر عليه  
وكان ذلك من أسباب محنته، خصهما الإمام المقري بالذكر قائلا: "وكان يذهبان إلى الاجتهاد وترك  
التقليد، وحسبك ما صار لهما من الصين بالمشرق، ولما حللت ببيت المقدس، وعرف مكانني من  
الطلبة وتناظرت مع بعضهم أتى إليّ بعض المغاربة فقال لي: إن مكانك في النفوس مكين وقدرك  
عندهم رفيع، وأنا أعلم آخذك عن ابني الإمام، فإن سئلت فانتسب إليهما وقل سمعت منهما... فما  
أنت عند هؤلاء الناس إلى خليفتهما... (فيلالي، 2002، صفحة 352).

### 3- المهام التي تولاهما ابني الإمام:

أ-التدريس: نظرا لما اشتهر به ابني الإمام من العلم والمعارف في مختلف التخصصات ولاسيما في مجال الفقه توافد عليهم طلبة العلم والتحصيل من كل النواحي والجهات (بن داود، بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م،، 2010/2009، صفحة 160)، (محجوب عرايبي، 2014/2015، صفحة 48) وقد كانت بداية مشوارهما العلمي بالجزائر مع بداية القرن الثامن الهجري/14 (فيلاي، 2002، صفحة 352).

#### 1- طريقة التدريس عند ابني الإمام:

وللإشارة، فبعدهما كانت طريقة التدريس المنتشرة في المغرب الأوسط في العهد الزياني هي طريقة اختيار كتاب معين في صنف العلم المراد دراسته، حيث يقوم الطالب قراءة الكتاب، ويتولى الشيخ مهمة الشرح والتحليل للطلاب، تغير الأمر مع ابني الإمام، حيث انتهج هؤلاء طريقة جديدة في التدريس، وهي التدريس بالطريقة الحوارية التي نقلاهما من تونس إلى تلمسان بالسؤال والجواب، فكان بذلك لهما كل الفضل في التأسيس لإعمال الفكر للمسائل الفكرية لمختلف المواد حتى لا يكون الاقتصار على الحفظ فقط، وهذا الحوار والتحليل بتنشيط الطلاب للوصول استنتاجات علمية تحت إشراف وتوجيه الأستاذ (بن داود، بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م،، 2010/2009، صفحة 160)، (محجوب عرايبي، 2014/2015، صفحة 48).

#### 2- المواد المدرسة:

أما فيما يخص المواد التي أشرف على تدريسها، فحسب ما تذكره كتب التراجم، التي اهتمت بترجمة سيرتهم على أنهم قد درسا مختلف العلوم الدينية واللغوية والعقلية، لكن يبدو أنهما اختصا في علوم الفقه والأصول والتفسير والحديث فكان إقبال الطلبة عليهما كبير (لسان الدين، 1985، صفحة 64).

#### 3- طلبتهما (تلاميذتهما)

من بين الطلبة الذين تتلمذوا عليهم، وكان لهم الفضل في الإشراف على تخرجهما نذكر: - أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأبي (1356/757م): هو أحد أساتذة عبد الرحمن بن خلدون والمقري ولسان الدين بن الخطيب، أصله أندلسي من مدينة آيلة في الأندلس ثم انتقلت عائلته إلى تلمسان بالمغرب الأوسط، وهناك عكف على تحصيل العلوم وتدريسه مخالفا في ذلك اتجاه أبيه وأعمامه الذين احترقوا الجندية رحل إلى المشرق، وحج، ولقي كثيرا من العلماء ثم عاد ثانية إلى تلمسان ثم اندمج في طبقة العلماء بمجلس السلطان أبي الحسن المريني بفاس وظل هناك إلى أن مات (التنكي، نيل الابتهاج بتطريح الديباج، 2011، صفحة 236)، الإمام العلامة المجتمع على إمامته، أعلم خلق الله بفنون المعقول، قال عنه تلميذه المقري "هو الإمام نسيح وحده ورحلة وقته في القيام على الفنون العقلية وإدراكه وصحة نظره" (التنكي، نيل الابتهاج بتطريح الديباج،

2011، الصفحات 236-237)، أما عن شيوخه، فقد ذكر تلميذه المقرئ قائلًا: "أخذ بتلمسان عن أبي الحسن التنسي وابني الإمام...." \* (التنكي، نيل الابتهاج بتطريح الديباج، 2011، صفحة 362).

- وقد أكد ابن خلدون ذلك في رحلته قائلًا: "ومنه شيخ العلوم العقلية، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأبلبي، أصله من تلمسان، وبها نشأ، قرأ كتب التعاليم وحدق بها وأظله الحصار الكبير بتلمسان أمام المائة السابعة فخرج منها وحج ولقي إعلام المشرق يومئذ، فلم يأخذ عنهم لأنه كان مختلطًا بعارض عرض في عقله، ثم رجع من المشرق وأفاق وقرأ المنطق والأصليين على الشيخ أبي موسى عيسى ابن الإمام، وكان قرأ بتونس مع أخيه أبي زيد عبد الرحمن على تلاميذ ابن زيتون (ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، 2004، الصفحات 40-41)، وجاء إلى تلمسان بعلم كثير من المعقول والمنقول (التنكي، نيل الابتهاج بتطريح الديباج، 2011، صفحة 236).

- أبو عبد الله محمد المقرئ (ت759هـ/1358م): هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن القرشي شهر بالمقرئ، ولد بتلمسان في عهد أبي حمو موسى الأول، نشأ ودرس بها حيث عكف على دراسة القرآن الكريم ببيته فحفظه على الروايات السبع ودرس مختلف العلوم النقلية والعقلية، وقد اعتبر الإمام المقرئ من أبرز علماء المدرسة المالكية فقد قارن بين فروع المذاهب وناقش من سبقه في مقاصد الشريعة وقواعدها وأحكامها وربط الفروع بالقواعد، وكان يقدم خلاصة عمله النقدي لأقوال الفقهاء، فكانت له مواقف اجتهادية في حدود المذهب المالكي، أما عن أشهر الشيوخ الذين تتلمذ عليهما الإمام المقرئ فنجد ابني الإمام الذين قال عنهما من خلال ما ورد في كتب التراجم (التنكي، نيل الابتهاج بتطريح الديباج، 2011، صفحة 236) "كان رجل في شبابهما من بلدهما تلمسان إلى تونس فأخذ عن ابن جماعة وابن العطار البطرني... ورحل الفقيهان إلى المشرق فلقيا علاء الدين الفنوني والجلال القزوني صاحب التلخيص وسمعا البخاري على الحجار، وقد سمعت أنا عليهما" (التنكي، نيل الابتهاج بتطريح الديباج، 2011، صفحة 147)، (بن داود، بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م،، 2009/2010، صفحة 162) توفي بفاس في آخر محرم (759هـ/1359م) (علوي، 2015، صفحة 274).

- أبو عبد الله الشريف التلمساني (ت771هـ/1370م): ولد بتلمسان سنة 710هـ/1310م ونشأ بها وتعلم من علمائها، تفرغ للتعليم في المدرسة اليعقوبية إلى أن توفي (711هـ/1370م) (ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، 2004، صفحة 70).

\* هو ابن زيتون، هو القاسم بن أبي بكر بن مسافر اشتهر بابن زيتون ويكنى أبا القاسم، رحل إلى المشرق، وأخذ عن علمائه، رجع إلى تونس فتولى بها الإفتاء والقضاء، وهو أول من أظهر تأليف فخر الدين الرازي بتونس، حيث كان يقرأها.

قال عنه عبد الرحمن خلدون في رحلته: "الإمام العالم الفذ، فارس المعقول والمنقول، صاحب الفروع والأصول أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسيني، ويعرف بالعلوي نسبة إلى قرية من أعمال تلمسان تسمى (العلويين) (ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، 2004، صفحة 70)، ثم روى عبد الرحمن ابن خلدون في رحلته عن نشأة وعلم وشيوخ أبو عبد الله الشريف التلمساني قائلاً: "نشأ هذا الرجل بتلمسان وأخذ العلم عن مشيختها، واختص بأولاد الإمام، وتفقه عليهما في الفقه والأصول والكلام، ثم لزم شيخنا أبا عبد الله الأبلي وتضلّع من معارفه، فاستبحر، وتفجرت ينباع العلوم من مداركه" (ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، 2004، صفحة 70)، ومارس أبو عبد الله الشريف التلمساني التعليم بمدارس تلمسان، وساهم في تخريج علماء كثيرين منها (علوي، 2015، صفحة 274).

ب-الإفتاء: إلى جانب مهمة التدريس، فقد تولى ابني الإمام مهمة الافتاء بحكم ما تمتعوا به من علوم فقهية في مجالس السلاطين الزيانيين، ومن نماذج تلك الفتاوى ما ذكره لنا الإمام المقري تلميذهما رحمه الله حيث قال: "شهدت مجلساً بين يدي السلطان أبي تاشفين عبد الرحمن موسى قرئ فيه عن أبي زيد بن الإمام حديث "لقنوا موتاكم لا إله إلا الله" (الحفناوي، 2007، صفحة 59).

فقال له الأستاذ أبو إسحاق ابن حاكم السلوي، هذا الملقب محتضر حقيقة ميت مجازاً، فما وجه ترك محتضركم إلى موتاكم، والأصل الحقيقة؟

فأجاب أبو زيد بجواب لم يقتنع به، وكنت قرأت على الأستاذ بعض التنقيح، فقلت دعم القرافي: أن الشيء إنما يكون حقيقة في الحال مجازاً في الاستقبال مختلفاً فيه في الماضي، إذا كان محكوماً به إذا كان متعلق الحكم كما هنا فهو حقيقة مطلقاً إجماعاً، وعلى هذا لا مجاز، لا يقال احتج عليه بما فيه نظر، لأن لا نقول: "أنه نقل الإجماع وهو أحد الأربعة التي لا يطالب له مدعياً بالدليل كما ذكره هو، بل نقول أساء حيث احتج في موضع الوفاق (الحفناوي، 2007، صفحة 59).

ثم إنا سلمني نفي الإجماع، فلنا أن نقول ذلك إشارة إلى ظهور العلامات التي يعقبها الموت عادة، لأن تلقينه قبل ذلك إن لم يدهش فقط يوحش، فهو تنبيه على محل التلقين، أي: لقنوا من تحكمون بأنه ميت أو نقول: إنما عدل إلى الاختصار لما فيه من الإبهام (الحفناوي، 2007، صفحة 59).

- أبو عثمان سعيد العقباني: هو سعيد بن محمد العقباني التجيبي التلمساني، وقد اشتهر بلقب العقباني (ابن فرحون، 1972، صفحة 344)، ولد بتلمسان سنة (720هـ/1320) (ابن فرحون، 1972، صفحة 344)، كان يجالس كبار العلماء ويأخذ عنهم ومنهم ابني الإمام فبرز بتحصيل وفير، ونال المنزلة العليا بين معاصريه من العلماء الفقهاء، كما اصطفاه خلفاء بني زيان وبني مرين على حد سواء، تولى عدة مناصب عليا منها التعليم (بن داود، الحياة الفكرية والتعليمية تلمسان من

## إسهامات بيت ابني الإمام في الحركة العلمية بالمغرب الإسلامي في العصر الوسيط من خلال كتب التراجم

خلال علماء بني مرزوق من ق(7هـ-13م/10هـ-16م)، 2011، صفحة 48)، (محجوب عرايبي، 2014/2015، صفحة 52) والقضاء حتى أصبح قاضي المغرب الإسلامي (التنبيكي، نيل الابتهاج بتطريح الديباج، 2011، صفحة 204)، كما تولى الإمامة والفتوى (بن داود، الحياة الفكرية والتعليمية تلمسان من خلال علماء بني مرزوق من ق(7هـ-13م/10هـ-16م)، 2011، صفحة 79) توفي سنة(811هـ/1408م) (التنبيكي، نيل الابتهاج بتطريح الديباج، 2011، صفحة 205).

- أبو عبد الله اليحصبي: هو أبو عبد الله محمد بن محمد من حسن اليحصبي المعروف بابن الباروني واليحصبي نسبة لبني يحصب، ولد ونشأ بتلمسان، وأخذ عن علماءها ومنهم ابني الإمام، ثم انتقل إلى مدينة الجزائر، وقد انفرد بمعرفة مختصر ابن الحاجب الفقي له عليه شرح، حاز رئاسة العلم بالجزائر، لم تشير مصادر ترجمته إلى تاريخ وفاته، غير أن ابن فرحون ذكر في نهاية ترجمته قائلا: "وهو باقي الحياة نفع الله به، وكان فراغ ابن فرحون من تأليف الديباج سنة (761هـ/1360م)، مما يعني أن اليحصبي توفي بعد هذه السنة" (بن داود، الحياة الفكرية والتعليمية تلمسان من خلال علماء بني مرزوق من ق(7هـ-13م/10هـ-16م)، 2011، صفحة 161)، (محجوب عرايبي، 2014/2015، صفحة 51).

### ج-آثارهم العلمية(مؤلفاتهم)

بالرغم من أن ابني الإمام قد تتلمذ على يد أئمة أفذاذ خلال مرحلة الطلب والتحصيل وما وصلوا إليه من درجة الاجتهاد والنبوغ العلمي، وما بلغوه من مكانة بين أقرانهم من كبار علماء عصرهم، وتفوقهم عليهم في أحيان أخرى، إلا أن المصادر التاريخية، وفي مقدمتها كتب التراجم لم تحدثنا عن تأليف لهما، باستثناء المؤلف ابن فرحون صاحب الديباج المذهب الذي ذكر أن لهما تصانيف عديدة دون أن يذكر أسمائهما، ما عدا القول بأن أبا زيد عبد الرحمن له شرح مختصر ابن الحاجب الفرعي (محجوب عرايبي، 2014/2015، صفحة 62).

ولعل السبب والسبب من وراء ذلك يعود إلى كثرة أسفارها من جهة، وعدم استقرارهما، واستنفاد كل أوقاتها في التعليم والتدريس والوعظ والإرشاد.

كما يبدو أن حركة التأليف في العهد الزياني في النصف الأول من القرن الثامن الهجري/14م قد شابهها كثير من الدخن وقد ندد العالم الأبلي وتلميذه المقري الجد بكثرة التأليف الرديئة التي غمرت الحياة الثقافية وساهمت في إفساد العلم الشرعي خاصة، وقد كان الهدف من وراء تنديدهما هذا الدعوة الصريحة لإصلاح منهجية التأليف والتعليم على السواء وترقيتهما وتصفيتهما مما علق بهما من تراكمات الجهل الذي تحول بمرور الزمن علما مضافا إلى العلوم الصحيحة (قريان، 2011، صفحة 294).

وعوض أن تستهزئ العزائم في إرجاع العلوم النقلية إلى مصادرها اكتفى الناس بما هو مجرد، ونقل ما قاله العلماء أو لم يقولوه ونتج عن هذا الابتعاد، أن أصبحت التأليف غشا

كسمنها، لافرق بينهما، بل صار يؤخذ من كتب المسخوطين كما يؤخذ من كتب المرضيين (قريان، 2011، صفحة 294).

ومع ذلك فبالنسبة لابن الإمام فالشيء مختلف فبالرغم من سكوت المصادر عن مؤلفاتهم وتصانيفهم، فقد أجمعت كتب التراجم والسير على أن ابني الإمام كانا على درجة عالية في العلم والثقافة وسعة الإطلاع، وقد استطاعوا أن يفيدوا بعلومهم ورصيدهم المعرفي أجيالا كثيرة من الطلبة والعلماء في المغرب والمشرق الإسلاميين وتخطوا بسمعهم أصقاع المغرب الأوسط والأدنى والأقصى إلى الأندلس وبلاد المشرق (بوعزيز، 2009، الصفحات 23-24)، (محجوب عرايبي، 2014/2015، صفحة 62).

#### د-وفاتهما:

توفي العالم أبو زيد عبد الرحمن ابن الإمام في منتصف رمضان (741هـ/1341م)، ودفن بمسقط رأسه في برشك بينما بقي أخوه أبو موسى عيسى الأصغر منه ملازما للسلطان المريني أبي الحسن لعدة سنوات أخرى مواصلا لجهوده في التدريس والتعليم بكل من فاس وتلمسان، كما سارعه في حملته على بلاد تونس (748هـ/1347م) (التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريح الديباج، 2011، صفحة 237).

ولما شعر أبي موسى عيسى بن الإمام بالكبر والعجز، طلب من السلطان أن يأذن له بالعودة والرجوع إلى أولاده الصغار الذي خلفهم وراءه بتلمسان، فأذن له وعاد حينها إلى تلمسان، والتحق بمسقط رأسه قريته برشك وبقي بها إلى أن توفي بمرض وباء الطاعون في شوال عام (749هـ/1949م)، خلفا ورثه ابنه أبا محمد عبد الله بن عيسى (التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريح الديباج، 2011، صفحة 237).

#### خاتمة:

إن ما ينبغي قوله في الأخير بخصوص هذا البيت العلمي، هو أن بفضل ما تمتع به ابنا الإمام من إرادة كبيرة ومجهودات في سبيل تحصيل العلم والمعارف في مختلف مجالات الحياة سواء داخل تلمسان نفسها من خلال استفادتهم من علمائها أو خارجها من خلال رحلاتهم العلمية إلى كل من تونس وبلاد المشرق، استطاعوا هؤلاء العلماء أن يصبحوا بدورهم من العلماء الأجلاء والعظماء، وأن يكونوا لأنفسهم بيتا علميا أصبح يضاهي بمكانته العلمية البيوتات العلمية الأخرى في تلمسان وحتى خارجها شهد لهم في ذلك كبار العلماء في حياتهما وحتى بعد مماتهما.

#### المصادر والمراجع:

1. ابن القاضي، ا. (2009). *درة الحجال في عزة أسماء الرجال*. ت. و. عطا (Éd.). بيروت: دار الكتب العلمية.
2. ابن خلدون، ع. ا. (1979). *العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر*. بيروت: مؤسسة جمال للطباعة والنشر.
3. ابن خلدون، ع. ا. (1984). *المقدمة*. مكتبة دار المدينة المنورة للتوزيع والنشر الدار التونسية للنشر.

إسهامات بيت ابني الإمام في الحركة العلمية بالمغرب الإسلامي في العصر الوسيط من خلال كتب  
التراجم

4. ابن خلدون، ع. ا. (2004). *رحلة ابن خلدون* (Vol. ط. (1) بيروت: دار الكتب العلمية.
5. ابن فرحون، ا. (1972). *الديباج المذهب*. ت. م. الأحمدى (Éd.)، القاهرة: دار التراث للطباعة والنشر.
6. ابن مريم، ا. (1986). *البيستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
7. التنبكي، أ. ب. (2004). *كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج*. ت. ع. عمر (Éd.)، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.
8. التنبكي، أ. ب. (2011). *نبيل الابهتاج بتطريح الديباج* (Vol. ط. (1) الجزائر: دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع.
9. الحفناوي، أ. ا. (2007). *تعريف الحلف برجال السلف*. ت. م. الحسنى (Éd.)، الجزائر: وزارة الثقافة العربية.
10. الزركشي، إ. ا. (1966). *تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية* (Vol. ط. (2) م. ماضور (Éd.)، تونس: المكتبة العتيقة، الزيتونة.
11. القرافي، أ. (2001). *الديباج المذهب وذبوله، توشيح الديباج وحملة الابهتاج* (Vol. 1) دار الأبحاث للنشر والتوزيع.
12. الوزان، ا. (1983). *وصف إفريقيا* (Vol. ط. (2) ت. م. الأحضري (Éd.)، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
13. بن داود، ن. ا. (2011). *الحياة الفكرية والتعليمية بتلمسان من خلال علماء بني مرزوق من ق7هـ-13م/10هـ-16م*. (كنوز للنشر والتوزيع).
14. بن داود، ن. ا. (2009/2010). *بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م*. أطروحة دكتوراه. قسم التاريخ بجامعة تلمسان.
15. بوعزيز، بي. (2009). *أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة*. الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع.
16. حاجيات، ع. ا. (1975). *الحياة الفكرية في عهد بني زيان*. مجلة الأصلية. (26)
17. علوي، م. (2015). *تلمسان من خلال كتب الرحالة والجغرافيين المغاربة والأندلسيين من اقلرن السابع الهجري إلى القرن التاسع الهجري (13-15م)*. (أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط). جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس.
18. فيلالي، ع. ا. (2002). *تلمسان في العهد الزياني*. الجزائر: موفم للنشر والتوزيع.
19. قريان، ع. ا. (2011). *التعليم بتلمسان في العهد الزياني* (Vol. ط. (1) الجزائر: جسور للنشر والتوزيع.
20. لسان الدين، ا. ا. (1985). *نفاضة الجراب في علالة الاعتراب*. ت. أ. العبادى (Éد.)، الدار البيضاء: دار النشر المغربية.
21. محجوب عرايبي، ص. (2015/2014). *نماذج من البيوتات العلمية الصغرى بتلمسان* (العهد الزياني) بيت الشريف، بيت أولاد الإمام. *مذكرة ماستر*. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية: جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف.